

وقد قال عقب قوله السابق الذى أنكر فيه هذه المدونات « وقد كان عند النعمان بن المنذر منه ديوان فيه أشعار الفحول ، ومأمِدَح هو وأهل بيته به صار ذلك إلى بنى مروان أو صار منه » ثم ذكر ابن سلام نفسه أنه رأى شعرا جاهليا في كتاب كتبه يُوَسَّفُ بن سعد صاحبنا ، منذ أكثر من مائة سنة ، « فإذا أضفنا إلى كلام ابن سلام ما فصلنا فيه القول في البابين الأول والثاني وضح لنا ما في قوله (فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب) من خلل وفساد ،

اما الشطر الثالث الذى يحتاج إلى فضل بيان يوضحه فهو قوله « فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو الفرس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته فلما كثرت الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر وألّفوا ذلك وقد هلك من العرب مَنْ هلك بالموت والقتل) ، ولايستبين لنا خطر هذا القول إلا حين نتطرق إلى الحديث عن الشك في الشعر الجاهلى ونحله — فى الباب الرابع من هذا الكتاب — ولابد لنا من قبل ذلك من أن نتساءل هنا : أْحَقُّ أن العرب قد لَهَوَّا عن رواية الشعر فى هذه الفترة من حياتهم فغفلوا عنه ونسوا ذكره وأضربوا عن روايته ؟ وإذا كان ذلك كذلك ، فكم من السنين أو من القرون بلغت هذه الفترة ؟ ثم أَمِنَ الحق أنهم حينما راجعوا روايته — إذا سلمنا بانقطاعهم عنها ألّفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ؟ ،

وللإجابة على هذه الأسئلة لابد لنا من استقراء تاريخى نتتبع فيه حياة الرواية عند القدامى مبتدئين بالمعالم الواضحة فى منتصف القرن الثانى الهجرى ، ومتدرجين منها إلى الوراء حتى نصل إلى أقصى ما نستطيع أن نصل إليه من معالم حياة الرواية الأدبية ،

فاذا ما بدأنا بعهد بنى أمية ، وجدنا أن بعض القوم آنذاك كان يرى العلماء العارفين بالشعر الجاهلى قد ماتوا ، ونحن نحسب أن هذا الضرب من الكلام موجود فى كل عصر وأنه لا يصح أن يُحْمَل محملا لفظيا قاطعا ، وإنما هو ضرب من التحسر على الماضى ، وتمجيد القدماء ، والإقرار بضعف الحاضر وعجزه ، إذا ما قيس بالقديم السابق عليه .